عشرة الفجر.. أي درس؟

أحمد فؤاد
موقع العهد الإخباري

تحتفل إيران ويحتفل معها عالم كامل من المستضعفين الحالمين المنتظرين، في أوائل شهر شباط/ فبراير، بمشهد عودة الإمام الخميني (رض) إلى طهران وذكرى "عشرة الفجر" المباركة، التي صححت مسار التطور التاريخي لطهران، وأعادت بوصلة الاتجاه إلى التوافق مع وضعها الطبيعي والصحيح، انتصارًا على غابة من الأعداء، والأهم: إنها ثورة تمثل فجرًا نديًا لزمن جديد تحملنا إليه حُزْمَة متكاملة من أشرف القيم الإنسانيّة والدينية والخلقية، كما ينبغي أن يكون عليه فعل المؤمن المقاوم، وتمثلها بكلّ جدارة الثورة الإسلامية التي انطلقت شرارتها الحقيقية يوم الأول من شباط/ فبراير ١٩٧٩، حين عاد الإمام القائد الخميني (رض) إلى مطار طهران بعد ١٦ عامًا من النفي والإبعاد، والاستقبال المليوني من الشعب الذي كان يرزح تحت ويلات حكم الشاه وتمسك بتلابيبه المؤامرات البريطانية والأميركية، وتشد وثاقه إلى التبعية المقيتة وشرورها، وبعد أن قدم الشهداء في ساحات المواجهة أمام أشرس أجهزة الأمن الدَّم أنهارًا، حان وقت القطاف مع عودة القائد إلى طهران، لتجد الثورة أخيرًا رجلها وإمامها الذي حققت فيه وبه آمالها وطموحاتها، وهي بعد في طريق مجدها وفخرها.

يمكن لأي إنسان عاقل واعٍ أن يلخص قصّة الثورة الإسلاميّة في حقيقة أن شعبًا يناضل سينتصر حتمًا، مهما طال الزمن ومهما عظمت التضحيات، وسيكسر عنفوان أنياب أية قوة تحاول أن تكبح تطلعاته الطبيعية، يمكن أن نرى ونعاين في عشرة الفجر وانتصار الثورة الإسلامية المبارك والمذهل انتصارًا وشيكًا لغزّة المحاصرة وتثبيتًا للوعي الصحيح في العقل العربي والإسلامي، بأن طريق المقاومة هو عند المبدأ والأصل والجذر طريق نصر إلهي محتم، يمكن كذلك تصويب الخُطى في مواجهة العدوّ المباشر ومن ورائه الغرب كله، ولمس الحقيقة الأكثر بشاعة في عالم اليوم بأن الشيطان هو من وضع القواعد والقوانين، وبأن انتظار ما يجود به علينا من فضل التفات أو مشاعر كرم لن يحدث، وبأن البندقية وحدها هي من تحمي الحق وتصونه.

جاءت عشرة الفجر بعد ٢٦ عامًا كاملة من الانقلاب الغربي على تجربة الدكتور مصدق، قضاها الشاه في تعزيز قبضته الأمنية الخشنة على إيران، وخلق بنية مخابراتية وأمنية فائقة الطغيان، بالطبع الأنظمة الغربية ـ بالذات واشنطن ولندن ـ كانت تسبغ حمايتها على شرطي الخليج الفارسي التابع لها، وكانت ممارسات القمع والإرهاب الواسعتين لا تجد صدى دوليًا، ولا تثير حتّى اهتمام المتابعة، وهو شاهد آخر على المعايير الأخلاقية الغربية التي تعمل أولًا وأخيرًا وقبل أي شيء لمصالحها وحقوق إنسانها هي، ولو كانت خصمًا من حقوق كلّ إنسان على الكوكب.

لم يكن الإمام صاحب الهمة والضمير اليقظ، في قيادته بالذات للأيام العشرة المباركة للثورة الإسلامية، يخط طريقًا واضحًا أمام إيران، لكنّه أكثر من ذلك، كان يضع قواعد مبدئية ناصعة للمواقف، ويمنح لعقل المسلم ـ العادي ـ ورقة اختبار لا تخطئ في فهم أية وقائع أو شبهات ملغزّة، بمنتهى الصدق والشفافية، كانت الثورة الإسلامية في عمقها وبلاغة فعلها ونبلها المحلق هي إجابة مباشرة عن سؤال "ما العمل؟"، وطرحًا لمنهج مغاير في التفكير أولًا ثمّ الحركة ثانيًا، كانت هي إجابة انطلقت متحررة من أثقال قرون الظلام والتجهيل والطمس المتعمد للدين الصحيح ومقاصده العظمى وغاياته التي تحقق لإنسان هذا العصر السعادة والفوز، في الدنيا والآخرة.

قبل الإمام كان العقل المسلم أسيرًا لتبعية شرق/ غرب، إما مع موسكو أو مع واشنطن، لكنّه وجد مع القائد إجابة جديدة هي "نحن" تاريخنا ودينا وقيمنا، ولمس الحل الجذري لأزماتنا وطريقنا وعلاتنا كلها، دفعة واحدة، وجد في الروح حلًا وبداية، يحمل قيمة الحق بقدر ما يحمل معنى الحقيقة، ومعه وبعده تغيرت المنطقة كلها، كما لم تتغير من قبل في قرون طويلة وأزمنة ممتدة بعيدة في التيه المضروب عليها.

لم تنتصر الثورة الإسلامية في لحظة، ثمّ تهدأ وتيرتها، لكن هذه الثورة التي قدمها لنا الإمام كما يجب أن تحدث هي فعل مستمرّ في وجه الطغيان، وعهد يتجدد في كلّ موقف وكلّ لحظة، لم تتوقف المؤامرات على إيران قبل الثورة وبعدها، تغيرت الأشكال، من العقوبات المباشرة إلى الحصار الاقتصادي، إلى الحروب بالوكالة، وفي كلّ منعطف وأمام أي تحديات كانت الثورة هي التي تتولى الإجابة وتقديم قربان التضحية المقدس بأعز وأشرف الأبطال، وكانت جملة الإمام القائد دائمة التردّد والإلحاح هي أن "المؤمن دائمًا في موقف الفوز، شهيدًا أو منتصرًا"، لهذه الروحية التي تجدد بيعتها وإيمانها وثباتها، ولا تفقد اندفاعها الشريف ولا ترضخ أمام قلق أو تهديد، كانت الثورة الإسلامية هي النموذج الفارق في منطقتنا، النموذج الذي استطاع تحقيق مستحيل التغيير الجذري العميق، وما يزال يقدم لنا المزيد من الألق والدفء مهما ابتعدت بنا السنوات.

لم تنتصر الثورة الإسلامية في لحظة، ثمّ تهدأ وتيرتها، لكن هذه الثورة التي قدمها لنا الإمام كما يجب أن تحدث هي فعل مستمرّ في وجه الطغيان، وعهد يتجدد في كلّ موقف وكلّ لحظة، لم تتوقف المؤامرات على إيران قبل الثورة وبعدها

كلما كانت الحرب أقسى كان النصر أبهى

يونس عودة
كاتب ومحلل سياسي

لم يعد النقاش في مراكز البحث والاستشراف المشهود لها في العالم، يدور حول صحة، وآفاق، واحتمالية "قيام عالم جديد"، على أنقاض العالم الذي كان للإمبريالية ومشتقاتها من العنصرية، بل ما هي الصورة التي سيرسو عليها العالم الآتي، ومن سيكون لها الباع والقدرة على أن تحتلّ مكانتها الطبيعية، وفق منظومة ثقافية متكاملة، أخلاقيًا، وإنسانيًا، وبالتالي سياسيًا، تحميها مقدرات القوّة.

بلا شكّ أن القديم العاجز المتخم بالشرور، سيعمد إلى كلّ الأساليب اللاأخلاقية، بما فيها القتل الممنهج، في حرب يمكن أن تسمّى "حرب البقاء"، وهو الذي نشهده اليوم على أرض فلسطين من خلال حرب الإبادة المستمرّة ضدّ الشعب الفلسطيني، من دون أن يدرك قادة الكيان الصهيوني نهاية المسار الحتمي القائم على الكراهية والحقد اللامحدود. فهؤلاء، يعيشون الاعتقاد الواهم بأن عمليات القتل والقصف والتدمير يمكن أن ترمم مفاهيم ثقافية وأمنية وعسكرية، وهي في أصلها سياسية مصنعة خلافًا للطبيعة، ومن دون أن يدركوا ما سيكون خلف الأفق، جراء المكابرة لأنهم يعلمون أن المنظومة التي ترعرعت عليها "إسرائيل" برعاية الغرب الشوفيني قد تحطمت إلى غير رجعة، ولم يعد بالإمكان إعادة تجميع الركام للترميم.

لقد أسقط يوم ٧ أكتوبر المجيد بكلّ مفاعيله الصورة المتخيلة التي كونها الغرب المتوحش عن الكيان الصهيوني بمده بكلّ وسائل القتل والدعاية المضللة، بأن "إسرائيل" هذه قوة إقليمية لا منافس لها، بل قوة عالمية، وأنه الراعي لكل ما تقوم به، حتى وصل به الأمر إلى اعتبار هذا الكيان امتدادًا طبيعيًا له، ولذلك فإنه عمد إلى ترسيخ الصورة التي أرادها للكيان في أذهان العرب أولًا، أن "إسرائيل" قادرة على فعل ما تريد وأين تشاء وساعة تشاء، مع نصائح صورية بتهدئة الوحشية أو الاقلال منها مقابل " الحفاظ على تفوقها الاستراتيجي" عبر مدها بكلّ سلاح حديث، يزيد من جشعها إلى القتل وبمزيد من الأموال لاستجلاب مستوطنين جدد لضخهم في جيش القتلة.

من الواضح وضوح الشمس أن المقاومة الفلسطينية الآتية من رحم الشعب الفلسطيني على أرضه، وليس كما المستوطنين المستجلبين من كلّ أصقاع الأرض، تمكّنت بعزيمة فولاذية، مرفودة بأنصار الحق والحقيقة في محور المقاومة من خلال جبهات الإسناد والاستنزاف للعدو المشترك، وعدو الإنسانيّة، من تبديد صورة الكيان المتخيلة غربيًا في أنها باتت ومنذ زمن قادرة على حماية مكوناتها أمنيًا وثقافيًا، وتحطيم العنجهية، واستفاق الجمهور الموهوم على كابوس سيبقى حاضرًا، أن جيشه ودولته ليسا القوّة المغروسة في الأذهان، بل هما مرتبطان بشكل عضوي ومطلق بأميركا خصوصًا والغرب العنصري عمومًا، رغم المكابرة المتواصلة فصولًا، مصحوبة بفظائع القتل والإبادة، ومن ضمن محاولات إخفاء مشاعر الإحباط واليأس لدى العامة، وانعدام الثقة بالرؤوس الحامية.

إن المنظومة التي ترعرعت عليها «إسرائيل» برعاية الغرب الشوفيني قد تحطمت إلى غير رجعة، ولم يعد بالإمكان إعادة تجميع الركام للترميم

لقد جربت كلّ حكومات الكيان منذ إنشائه على أرض فلسطين بقرار إمبريالي عنصري، كلّ وسائل القتل والترويع لكسب حجر الزاوية للكيان وهو الأمن للمستوطنين المستجلبين بالإغراء، إلا أن الحجر تناثر وبددته ريح المقاومة، وبقي عنصر الخوف وارتفع منسوبه إلى الأعلى لأن المستوطنين أدركوا في أعماقهم بعد التجربة المذلة لجيشهم أنّهم محتلون، والمحتلّ لا يمكنه التملك والسطو على الحقوق بمرور الزمن.

يقول د. تومر فريسكو، الباحث في جامعة رايخمان إن هذه الحرب مختلفة بكلّ المقاييس، فهي حرب طويلة ومؤلمة بدأت بضربة مفاجئة ولن تخرج منها "إسرائيل" بفرحة عارمة، بل بإحباط، وهو ما يؤكده البحث الذي أجراه مركز الصحة النفسية في "معهد روبين الأكاديمي"، الذي أظهر أن ٤٥٪ من السكان البالغين في "إسرائيل" أصيبوا بالاكتئاب بعد السابع من أكتوبر، وأن ٣٠ - ٤٣٪ أصبحوا يعانون بنسب متفاوتة من الخوف وضيق ما بعد الصدمة، ما يعني أن ما يقارب نصف سكان "إسرائيل" يعاني من مستويات مرضية من الاكتئاب. باختصار، إن النموذج الذي يشاهده العالم كله، ساعة بساعة، هو لب العالم الجديد المنتظر، والذي يتكون بمتانة مهما طالت الحرب أو قصرت، وكلما كانت الحرب أقسى وأشد، كلما كان طعم الانتصار ألذ، ليوازي صدى الاندحار والانهيار.

التحليل الإخباري

الصراع في البحر الأحمر: السعي لـ«الهيمنة العالمية»

ليلى نقولا
كاتبة ومحللة سياسية

في وقت تستمر عمليات التحالف الأميركي في البحر الأحمر، أعلن مسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، مهمة مماثلة، لكن مستقلة للاتحاد الأوروبي، أطلق عليها اسم "أسبايرز"، مهمتها "حماية السفن في البحر الأحمر"، كما قال من دون تحديد الدولة الأوروبية، التي ستقود تلك العملية.

واللافت، في هذه المهمّات العسكرية البحرية، قيام الأميركيين والأوروبيين بمهمات بحرية عسكرية في البحر الأحمر، لمواجهة حركة "أنصار الله"، التي قالت إنها ستفرض حظراً على السفن المتجهة إلى "إسرائيل"، أو التي يملكها إسرائيليون، بهدف وقف الحرب الإسرائيلية على غزة، علماً بأنه كان من الأجدى أن يعالج الأميركيون والأوروبيون سبب المشكلة وجذورها، لا نتائجها.

واقعياً، ترتبط العمليات البحرية في البحر الأحمر، إلى حدّ بعيد، بالسيطرة على ممرات الملاحة وطرقها الاستراتيجية، لأنها تشكّل المفتاح الأساسي للسيطرة العالمية، علماً بأن التاريخ العالمي يشير إلى أن السيطرة على البحار والطرق الملاحية كانت سبباً رئيساً في هيمنة بريطانيا على العالم، وسبباً في نجاح ما يسمى "السلام البريطاني" Pax Britannica. كان يُنظر إلى "السلام البريطاني" (١٨١٥-١٩١٤)، أو قرن "السلام الأوروبي"، حين بلغت بريطانيا ذروتها كقوة مهيمنة، على أنه دليل على أن أداء دور "الموازن من خارج الصراع" يمكن أن يكون استراتيجية كبرى ممتازة لقوة مهيمنة. أمّا الأمور، التي ساهمت في إرساء "السلام البريطاني"، أو الهيمنة البريطانية على العالم، فهي:

١. الانتصار في الحروب ضد نابليون.
٢. قدرات اقتصادية وعسكرية هائلة من أجل تحقيق مكانة القوة العظمى.
٣. تفوّق بحري وتكنولوجيا عالية وقوات برية هائلة من أجل المساهمة في توازن القوى الأوروبية.
٤. الاعتراف العالمي بوضع بريطانيا قوةً عظمى.

وتشير الدراسات إلى أن قدرة بريطانيا على بناء إمبراطورية عالمية، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كانت ممكنة بفضل تفوقها البحري. خلال تلك الفترة، اعتمدت السياسة الخارجية البريطانية، بصورة كبيرة، على ما يسمى استراتيجية "حكم الأمواج"، وهي استراتيجية تستلزم تطوير أسطول قوي للدفاع عن المصالح البريطانية على مستوى العالم، وخصوصاً مستعمراتها وخطوطها التجارية، بالإضافة إلى قيام البحرية الملكية بالتحكم والسيطرة على الطرق المائية الاستراتيجية لدعم المصالح البريطانية. وعليه، باتت بريطانيا قادرة على فرض شروطها في جميع أنحاء العالم، وهو أمر ضروري للمحافظة على هيمنتها ونفوذها في العالم.

ووفق التصور نفسه، فإن انتشار الولايات المتحدة العسكري في مياه الشرق الأوسط، وهي منطقة ذات أهمية استراتيجية، وخصوصاً في الخليج الفارسي وباب المندب، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، والمحيط الهندي، مدفوعاً باهتمامها بالمحافظة على طرق التجارة البحرية وحرية الملاحة، أمرٌ يشي بمحاولتها السعي لممارسة نفوذ عالمي شبيه بنفوذ بريطانيا العظمى خلال فترة "السلام البريطاني".